Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

بناء المعرفة اللغوية في كتاب "الخصائص" لابن جني – دراسة في ضوء اللسانيات المعرفية

الخامسة نورالدين العربى احفيظة

قسم اللغة العربية – كلية التربية العجيلات / جامعة الزاوية

a.ehfidha@zu.edu.ly

https://orcid.org/0009-0007-5477-4801

The Construction of Linguistic Knowledge in Ibn Jinni's "Al-Khasa'is" – A Study in Light of Cognitive Linguistics

alkhamisah nouruldin alarabi ahfeethah

Department of Arabic Language – Faculty of Education, Al-Ajilat / University of Zawiya

تاريخ الاستلام:2026/05/06 –تاريخ المراجعة:2026/05/28– تاريخ القبول: 2026/06/08– تاريخ للنشر: 30/ 06/ 2026

المستخلص:

يسعى هذا البحث إلى إعادة قراءة كتاب "الخصائص" لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) في ضوء المفاهيم الإجرائية للسانيات المعرفية بوصفها اتجاهًا لسانيًّا حديثًا يرى اللغة نافذة على الإدراك الإنساني. وينطلق البحث من مشكلة رئيسة تتمثل في غياب دراسة متخصصة تُخضع هذا النص التراثي لقراءة تحليلية مباشرة تفكك أدواته المنهجية وتعيد بناءها في ضوء مصطلح معرفي دقيق. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء النصوص وتحليلها، مع الإفادة من المنهج التاريخي لعرض السياق التكويني لعقل ابن جني.

وتكمن أهمية الدراسة في اختبار قدرة الأدوات الإجرائية للسانيات المعرفية على مقاربة نص عربي قديم، وفتح آفاق جديدة لقراءته قراءة تحليلية غير تكرارية. وتوصّل البحث إلى جملة من النتائج، أبرزها: أن نظرية "الاشتقاق الأكبر" تمثّل صياغة تصنيفية مبكرة للمعجم العربي تقترب من مفهوم "المقولات الإشعاعية", وأن نظرية "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" تكشف عن وعي أيقوني مبكر بالعلاقة غير الاعتباطية بين الصوت والمعنى تتقاطع مع مبدأي الأيقونية والتجسيد. كما أثبت البحث أن عناية ابن جني بالإشارة والسياق الحالي تعكس وعيًا بتكامل المعطى اللغوي والإدراكي، وأن اعتماده على الذوق والحدس يقترب من مفهوم "الكفاءة القائمة على الاستعمال". ويخلص البحث إلى أن منهج ابن جني يحمل تصورات معرفية أصيلة عبّر عنها بمصطلح عصره ويمكن قراءتها اليوم بأدوات نظرية أكثر دقة.

الكلمات المفتاحية: ابن جني، كتاب الخصائص، اللسانيات المعرفية، الاشتقاق الأكبر، التصنيف المقولي، الأيقونية، التجسيد، الكفاءة القائمة على الاستعمال.

Abstract:

This research seeks to re-read the book "Al-Khasa'is" by Abu al-Fath 'Uthman ibn Jinni (d. 392 AH) in light of the operational concepts of cognitive linguistics, which views language as a window into human cognition. The study addresses a main research gap, namely the absence of a specialized study that subjects this classical text to a direct analytical reading to deconstruct its methodological tools and rebuild them in light of precise cognitive terminology. The research adopts a descriptive-analytical approach based on text induction

and analysis, while utilizing the historical method to present the formative context of Ibn Jinni's intellect.

The significance of the study lies in testing the capacity of the operational tools of cognitive linguistics to approach an ancient Arabic text, thereby opening new horizons for a non-repetitive analytical reading. The research reached several findings, most notably: that the theory of "Greater Derivation" (Al-Ishtiqaq Al-Akbar) represents an early categorization of the Arabic lexicon that closely approaches the concept of "radial categories", and that the theory of "matching words to the likeness of meanings" (Imsas al-Alfaz Ashbah al-Ma'ani) reveals an early iconic awareness of the non-arbitrary relationship between sound and meaning, intersecting with the principles of iconicity and embodiment. Furthermore, the study demonstrates that Ibn Jinni's attention to gesturing and situational context reflects an awareness of the integration between linguistic and cognitive data, and that his reliance on taste and intuition aligns with the concept of "usage-based competence". The research concludes that Ibn Jinni's methodology carries authentic cognitive insights expressed in the terminology of his era, which can be interpreted today using more precise theoretical tools.

Keywords: Ibn Jinni, Al-Khasa'is, Cognitive Linguistics, Greater Derivation, Categorization, Iconicity, Embodiment, Usage-based Competence.

المقدمة

لم يكن كتاب "الخصائص" لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) كتابًا في النحو والصرف بالمعنى الوصفي الضيق الذي عُرفت به كثير من مصنفات عصره، بل كان محاولة جسورة لمساءلة الأسس التي يقوم عليها الكلام العربي: كيف نشأت اللغة؟ وكيف يتصل اللفظ بالمعنى؟ وما الذي يجعل بعض التراكيب مقبولة في ذهن المتكلم وبعضها الآخر مرفوضًا؟ لقد بلغ أبو الفتح من علوم العربية من الجلالة والتبريز ما لم يبلغه إلا القليل، حتى أصبح في مجرى القرون بعده مضرب المثل في معرفة النحو، وقد كان إمامًا في النحو والصرف معًا، بل كان في الصرف أمثل منه في النحو على إمامته فيهما، وإن كان لا يُعرف إلا بالنحوي.[1]

وهذه الأسئلة التي طرحها ابن جني قبل أكثر من ألف عام تتقاطع اليوم تقاطعًا لافتًا مع جملة من القضايا التي تشتغل عليها اللسانيات المعرفية بوصفها اتجاهًا لسانيًّا حديثًا يرى اللغة نافذة على الإدراك الإنساني، لا نسقًا مستقلًّا بذاته عن ملكات العقل من تصنيف وتصور واستعارة وتخييل.

وينطلق هذا البحث من افتراض أن ابن جني، حين نظَّر لمفاهيم من نحو "الاشتقاق الأكبر" و"إمساس الألفاظ أشباه المعاني" و"مناسبة الحروف لمعانيها"، إنما كان يبني – من غير أن يسمّي ذلك تسمية معرفية بالطبع – تصورًا عن العلاقة بين الذهن واللغة يمكن أن يُقرأ اليوم في ضوء أدوات اللسانيات المعرفية: التصنيف المقولي، والأيقونية، والتجسيد، والدلالة القائمة على

[1]– أبو عثمان ابن جني، الخصائص، ج1، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية عن دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1952، ص47.

الاستعمال. وهذا ما يحاول هذا البحث الكشف عنه واستقصاءه، منطلقًا من قراءة تحليلية مباشرة لنصوص "الخصائص" ومن السياق التكويني الذي صاغ عقل ابن جني اللغوي.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: كيف بنى ابن جني معرفته اللغوية في "الخصائص"، وإلى أيّ حدٍّ يمكن أن تُفسَّر هذه المعرفة في ضوء المفاهيم الإجرائية للسانيات المعرفية؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس جملة من الأسئلة الفرعية:

1. ما المرتكزات المعرفية التي قام عليها منهج ابن جني في مقاربة الظاهرة اللغوية؟
2. كيف عبّرت نظرية "الاشتقاق الأكبر" عن تصوّر تصنيفي للمعجم أقرب إلى نظرية المقولات في اللسانيات المعرفية؟
3. إلى أيّ مدى تنهض نظرية "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" شاهدًا على وعي ابن جني بالعلاقة الأيقونية بين الصوت والمعنى؟
4. كيف وظّف ابن جني الحدس اللغوي والذوق في بناء أحكامه، وما علاقة ذلك بمفهوم الكفاءة اللغوية القائمة على الاستعمال عند المعرفيين المحدثين؟

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من وجهين متكاملين: أما الوجه الأول فعلميّ معرفيّ، إذ تسعى إلى إعادة قراءة أحد أهمّ النصوص التراثية في الفكر اللغوي العربي قراءة منهجية معاصرة، بما يُخرجه من دائرة العرض الوصفي أو التأريخي إلى دائرة التحليل النظري المقارن. وأما الوجه الثاني فمنهجيّ إجرائيّ، إذ تُسهم الدراسة في اختبار قدرة الأدوات الإجرائية للسانيات المعرفية – التي نشأت أصلًا في سياق لغوي غربي – على مقاربة نصٍّ عربيٍّ قديم، وبذلك تفتح بابًا لإعادة النظر في التراث اللغوي العربي بوصفه حقلًا خصبًا لم يُستثمر بعدُ الاستثمار الكافي في ضوء الدرس المعرفي الحديث. وتضاف إلى ذلك أهمية عملية تتمثل في إفادة الباحثين والدارسين من طلبة الدراسات العليا في فتح آفاق جديدة لقراءة نصوص التراث اللغوي العربي قراءة تحليلية غير تكرارية.

أهداف الدراسة

1. الكشف عن الأسس المعرفية التي قام عليها منهج ابن جني في بناء المعرفة اللغوية في كتاب "الخصائص".
2. تحليل نظرية "الاشتقاق الأكبر" في ضوء مفهوم التصنيف المقولي في اللسانيات المعرفية.
3. الكشف عن الوعي الأيقوني المبكر عند ابن جني من خلال نظرية "إمساس الألفاظ أشباه المعاني".
4. بيان علاقة الحدس اللغوي والذوق عند ابن جني بمفهوم الكفاءة اللغوية القائمة على الاستعمال.
5. تبيّن القيمة المعرفية لمنهج ابن جني الاستقرائي التوليدي وموقعه من الدرس اللساني المعاصر.

مصطلحات الدراسة

– المعرفة اللغوية: يُقصد بها في هذا البحث مجموع التصورات والمقولات الذهنية التي يبنيها المتكلم عن نظام لغته، صوتيةً كانت أم صرفيةً أم دلاليةً، وما يربط بينها من علاقات تصنيفية واستدلالية.()

–**اللسانيات المعرفية:** هي العلم "الذي يوجه إلى وصف الأبنية والعمليات اللغوية العقلية وتفسيرها، ويقع في قلب اهتمام علم اللغة الإدراكي بحث التفاعل بين تمثيل المعرفة واستيعابها".[1]

[1]– حيدر فاضل عباس الغزاوي، اللسانيات المعرفية في الدراسات العربية الحديثة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العراق، 2018، ص30.

-**الاشتقاق الأكبر:** مصطلح صاغه ابن جني للدلالة على تقليب الأصل الثلاثي على وجوهه الستة بحثًا عن معنى عامّ جامع يربط بين تصاريفه المختلفة، وهو – بتعبير ابن جني نفسه – موضع "لم يسمّه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي – رحمه الله– كان يستعين به، ويُخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به. وإنما هذا التلقيب لنا نحن".[1]

الدراسات السابقة

حظي كتاب "الخصائص" باهتمام واسع في الدراسات التراثية القديمة والحديثة على السواء. فقد تناوله الباحثون من زوايا متعددة: من زاوية تحقيقه ونشره وتوثيق نسخه ومقارنتها، كما فعل محمد علي النجار في مقدمته الوافية لتحقيق الكتاب، والتي اعتمد عليها هذا البحث اعتمادًا رئيسًا في الجانب البيوغرافي والنقدي المتعلق بحياة ابن جني ومذاهبه ومصادره، ومن زاوية دراسة مذاهبه النحوية والصرفية والكلامية والفقهية وأثرها في تكوين منهجه، ومن زاوية دراسة نظرياته في الاشتقاق والتعليل اللغوي بوصفها قضايا نحوية أو صرفية صرفة.

وفي الجانب النظري، شهدت العقود الأخيرة اهتمامًا متزايدًا بتقديم اللسانيات المعرفية إلى القارئ العربي وتبيئة مفاهيمها، كما يتبدّى في مؤلفات عامة تناولت الأسس المعرفية للسانيات وعلاقتها بالدلالة والمعجم والخطاب، وهي مؤلفات أفاد منها هذا البحث في بناء إطاره النظري العام دون أن يكون الاستشهاد منها استشهادًا حرفيًّا مباشرًا بنصوصها.

غير أنّ المتتبع لهذه الدراسات مجتمعةً يلحظ أنها اكتفت في الغالب بأحد أمرين: إما دراسة "الخصائص" دراسة نحوية أو صرفية أو معجمية بمعزل عن الأطر النظرية اللسانية الحديثة، وإما عرض مفاهيم اللسانيات المعرفية عرضًا نظريًّا عامًّا من غير تطبيق مباشر ومفصّل على نصٍّ عربيٍّ قديم بعينه من نصوص "الخصائص". وهذا ما يمهّد للفجوة البحثية التي يعالجها هذا البحث.

الفجوة البحثية

تتبدّى الفجوة البحثية – في ضوء ما تقدّم – في غياب دراسة متخصصة تُخضع كتاب "الخصائص" لقراءة تحليلية مباشرة في ضوء المفاهيم الإجرائية للسانيات المعرفية: التصنيف المقولي، والأيقونية، والتجسيد، والدلالة القائمة على الاستعمال، بحيث لا يقف البحث عند حدود الإشارة العابرة إلى "حداثة" ابن جني أو "سبقه" العلمي – وهي عبارات كثيرًا ما ترد عرضًا في الدراسات التراثية العامة – بل يفكّك أدواته المنهجية نفسها ويعيد بناءها في ضوء مصطلح معرفي دقيق قابل للتحقّق. وهذه هي الفجوة التي يسعى هذا البحث إلى سدّها من خلال قراءة نماذج تطبيقية مختارة من "الخصائص" نفسه.

منهج الدراسة

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء النصوص المختارة من "الخصائص" وتحليلها في ضوء الأطر المفاهيمية للسانيات المعرفية، مع الإفادة من المنهج التاريخي في عرض السياق الذي تشكّلت فيه معرفة ابن جني اللغوية وتكوّن فيه عقله العلمي.

المبحث الأول: ابن جني وسياقه المعرفي

أولًا: نسبه ونشأته وشيوخه

هو عثمان بن جني، ولا يُعرف نسبه من وراء هذا، وذلك أنه غير عربيّ الأصل، فقد كان أبوه "جني" روميًّا يونانيًّا، وكان مملوكًا لسليمان بن فهد بن أحد الأزدي ومن ثم فهو أزدي بالولاء، وقد ولد ابن جني بالموصل واختُلف في تاريخ مولده اختلافًا بيّنًا، فبين قائل بأنه وُلد قبل الثلاثين والثلاثمائة من الهجرة، وبين من يرجّح أن ولادته كانت سنة 322هـ أو نحوها،

[1]– ابن جني، الخصائص، ج2، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1952، ص133.

اعتمادًا على رواية وفاته وسنّه عند الوفاة. ونشأ ابن جني بالموصل وتلقّى فيها مبادئ العلم، وأخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي المعروف بالأخفش الشافعي، ولم يُعرف له شيخ آخر بالموصل سوى هذا الرجل[1]. ويقول ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة إنه توفي وهو في سن السبعين وأن وفاته كانت في سنة 392 هـ.[2]

ثانيًا: صحبته لأستاذه أبي علي الفارسي وأثرها في تكوينه

يذكر محمد علي النجار في مقدمة تحقيق كتاب الخصائص أنه "توثّقت الصلات بين أبي الفتح وأستاذه أبي علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بأوثق الأسباب وأمتن العُرا. وكان ابن جني يُظهر من التعلّق بأستاذه والتقبّل لرأيه والانتفاع بعلمه ما أظهر تلميذٌ لأستاذه. وهو لا يفتأ في كتبه يذكر أبا علي وعلمه، ويرجع علمه وزكانته إلى فضل أستاذه، ويبجح بالانتساب إليه والتشبث بأسبابه"[3]. وكانت علاقة ابن جني بأبي علي الفارسي علاقة شديدة الوثاقة فقد كان لأبي علي الفارسي تلاميذ كثيرون "فقد أخذ عنه خلق كثير، لأنه ارتحل في بلاد عدة، ومن هؤلاء من لازمه طويلًا منتفعًا بعلمه كابن جني الذي بقي معه إلى أن توفي أبو علي".[4]

ثالثًا: مذاهبه الكلامية والفقهية والنحوية

يذكر السيوطي أن ابن جني كان معتزليًا كشيخه أبي علي الفارسي، وتؤيد ذلك عباراتٌ كثيرة وردت في "الخصائص" نفسه تنحو منحى الاعتزال في مسائل خلق الأفعال وكسب العبد. وأما في الفقه فيبدو أن ابن جني كان حنفيّ الهوى وإن لم يثبت انتماؤه المذهبي انتماءً قاطعًا. وأما في النحو فقد كان – كشيخه أبي علي – بصريّ المذهب، يجري في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب ويذبّ عنه، وإن كان لا يدخر جهدًا في مخالفته إذا تهدّى برأي لم يقولوا به واستوى له دليله.[5]

رابعًا: ابن جني بين النحو والصرف

كان ابن جني إمامًا في النحو والصرف معًا، وهو على إمامته فيهما أمثل منه في الصرف، كما يذكره الكاتبون لترجمته، وإن كان لا يُعرف إلا بالنحويّ. وقد كان "من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى من علمه بالنحو. وسببه أنه كان يقرأ النحو بجامع الموصل، فمر به أبو علي الفارسي فسأله عن مسألة في التصريف فقص فيها فقال أبو علي: "زببت قبل أن تحصرم" فلزمه من يومئذ مدة أربعين سنة، وأعني بالتصريف، ولما مات أبو علي تصدر ابن جني مكانه ببغداد، وأخذ عنه الثمانيني وعبد السلام البصري وأبو الحسن السمسمي" .[6]

---

[1]– ينظر: محمد علي النجار، مقدمة التحقيق، في: ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص5، و9 و10.

[2] – ينظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مقدمة التحقيق، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص45.

[3]– محمد علي النجار، مقدمة التحقيق، في: ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص16–17.

[4]– كاظم بحر المرجان، مقدمة تحقيق كتاب "الإيضاح" لأبي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص13.

[5]– ينظر: محمد علي النجار، مقدمة التحقيق، في: ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص40، 42، 44.

[6] – سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر، بيروت، 1978، ص122.

واشتهر – فضلًا عن ذلك – ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، وبلغ بعبارته ذروة الفصاحة في المسائل العلمية البعيدة عن الخيال ووجوه الطرافة. وقد بلغ من الجلالة والتبريز ما لم يبلغه إلا القليل، حتى أصبح في مجرى القرون بعده مضرب المثل في معرفة النحو. ولقد فتح ابن جني في العربية أبوابًا لم يتسنَّ لسواه فتحها، ووضع أصولًا في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني وإهمال ما أُهمل من الألفاظ وغير ذلك[1]، وهذا بالذات ما يعنينا في هذا البحث، إذ إن هذه "الأصول" هي ما نقترح قراءته بوصفه بناءً معرفيًّا لا مجرد ملحوظات لغوية عابرة.

وكان ابن جني – إلى جانب ذلك – واسع الرواية والدراية في اللغة، ويرى قدرًا صالحًا من اللغة مرجعه إلى إمام هذا الشأن سيبويه، وهو في تعليل العربية وتخريجها وبيان الحكمة في تصاريفها واستخراج مناسبات الاشتقاق لا يشقّ له غبار، على أنه قد يركب أحيانًا متن الشطط والإسراف في الاشتقاق، وكان مع ذلك حريصًا على التثبت في هذا الباب[2]. وهذا الجمع بين الجرأة النظرية والحرص المنهجي هو ما يجعل مشروعه اللغوي مشروعًا معرفيًّا بامتياز، لا وصفًا تراكميًّا للظواهر فحسب.

إننا إذا أردنا اختصار مسيرة ابن جني، فنحن لا نتحدث عن مجرد نحويّ تقليدي عاش في القرن الرابع الهجري، بل عن "فيلسوف لغوي" حقيقي. إن ابن جني هو الثمرة الناضجة لرحلة صبر علمي استثنائية (أربعون عامًا في صحبة شيخه الفارسي)، مدفوعة بعقلية معتزلية لا تقبل الأمور على علاتها بل تبحث دائمًا عن "السبب والعلة". هذه التركيبة جعلت منه عبقرية فذة في تفكيك بنية الكلمة (الصرف) وفهم أسرارها؛ فلم يكتفِ بجمع كلام العرب وتدوينه، بل غاص في فلسفة اللغة، وربط بين جرس الكلمة ومعناها، ليترك لنا في النهاية مشروعًا فكريًا حيًا ومتكاملاً، وليس مجرد قواعد جامدة في كتب التراث.

المبحث الثاني: اللسانيات المعرفية: الأصول والمفاهيم الإجرائية

تشكّلت اللسانيات المعرفية بوصفها اتجاهًا نظريًّا متمايزًا اعتبارًا من أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين، في مقابل الاتجاه التوليدي التحويلي الذي دعا إلى الفصل بين ملكة اللغة وسائر الملكات المعرفية الأخرى. وقد قامت اللسانيات المعرفية على افتراض "أن اللغة محتواة في قدرات معرفية أكثر عمومية"[3]. ومن أبرز المفاهيم الإجرائية التي أرستها اللسانيات المعرفية مفهوم "الاستعارة المفهومية" الذي يرى أنّ الاستعارة "هي جزء من النظام العقلي أو الذهني. فالاستعارة بالنسبة لهما توجد في التفكير اليومي والحياة العادية للإنسان"[4]. ويتصل بهذا مبدأ "التجسيد" الذي يكون فيه التعبير الاستعاري بهدف تجسيد المعنوي في صورة المحسوس لتوضيح الصورة، وكذلك إحداث الأثر في نفس المتلقي[5]. ومن المفاهيم المركزية الأخرى مفهوم "التصنيف المقولي" الذي أعادت اللسانيات المعرفية صياغته اعتمادًا على نظرية "النموذج الأمثل"، والتي ترى أن أعضاء المقولة الواحدة لا يشتركون بالضرورة في مجموعة ثابتة من الشروط الضرورية

---

[1]– ينظر: محمد علي النجار، مقدمة التحقيق، في: ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص27، 24، 29.

[2]– ينظر: المرجع السابق، ص33.

[3]– جون تايلور، اللسانيات العرفنية واللسانيات المستقلة، ترجمة: محمد الملاح، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد3، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019، ص133.

[4]– راضية عزيزي وكمال بخوش، الاستعارة بين البلاغة العربية واللسانيات المعرفية، مجلة المدونة، المجلد 8، العدد 2، جامعة البليدة2، الجزائر، جوان 2021، ص2109.

[5] – ينظر: المرجع السابق، ص2107.

والكافية، بل يرتبطون بعلاقات "شبه أسري" تتفاوت فيها درجة التمثيل النموذجي للمقولة[1]. وقد قدّمت إليانور روش نماذج تجريبية أظهرت أن بعض أعضاء المقولة (كالعصفور بالنسبة لمقولة "الطير") أكثر مركزية من أعضاء آخرين (كالنعامة)، وهو ما أسّس لفكرة "المقولات الإشعاعية" التي طوّرها لاحقًا جورج لايكوف.[2]

وأخيرًا، ثمة مفهوم "الأيقونية" الذي يقوم على افتراض وجود علاقة تشابهٍ – لا اعتباطية محضة – بين شكل العلامة اللغوية ومضمونها الدلالي، سواء أكانت هذه العلاقة صوتية (كما في المحاكاة الصوتية أم بنيوية (كما في تناظر ترتيب الجملة مع ترتيب الأحداث زمنيًا). وهذا المفهوم بالذات هو ما يفتح، كما سيأتي، بابًا واسعًا لقراءة نظرية ابن جني في "إمساس الألفاظ أشباه المعاني".

وإذا أردنا تبسيط مفاهيم اللسانيات المعرفية فإنني أرى أنها جاءت لتعيد للغة "إنسانيتها" وروحها بعد أن حوّلتها المدارس السابقة إلى معادلات رياضية جافة. إنها باختصار تقول لنا: "نحن نتكلم كما نفكر، ونفكر كما نعيش ونشعر". العقل البشري لا يتعامل مع الكلمات كرموز صماء، بل يربطها بتجاربه الجسدية (التجسيد)، وينظمها في مجموعات مرنة تشبه العائلات (النماذج المثلى)، ويجعل من أصوات الكلمات صدىً لواقعها (الأيقونية). والجميل هنا، أن هذا العلم الغربي الحديث يمد يده اليوم، وعبر مفهوم "الأيقونية" بالذات، ليتصافح مع عبقرية ابن جني الذي أدرك منذ ألف عام أن للغة جرسًا يحاكي نبض المعنى.

---

[1] Taylor, John R., Linguistic Categorization, Oxford University Press, Oxford, UK, 3rd edition, 2003, p. 45.

[2] Rosch, Eleanor, "Principles of Categorization", in: Cognition and Categorization, Lawrence Erlbaum Associates, Hillsdale, USA, 1978, p. 30.

المبحث الثالث: مظاهر بناء المعرفة اللغوية عند ابن جني في ضوء اللسانيات المعرفية

أولًا: الاشتقاق الأكبر: من التصريف إلى التصنيف المقولي

من أبرز ما اهتدى إليه ابن جني وسبق به – وإن كان استمدّ فكرته الأولى من أستاذه أبي علي – مبحث "الاشتقاق الأكبر"، وقد عقد له بابًا خاصًّا في "الخصائص" قال فيه: "هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي – رحمه الله – كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه – مع هذا – لم يسمّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروّح إليه، ويتعلل به. وإنما هذا التلقيب لنا نحن"[1]. وخلاصة هذه النظرية أن الأصل الثلاثي الواحد بتقاليبه الستة (نحو: س ل م، س م ل، ل س م، ل م س، م س ل، م ل س) يشترك في معنى عامٍّ جامع تتوزّع عليه معاني هذه التقاليب توزُّعًا فرعيًّا، لا أن يكون كل تقليب لفظًا مستقلًّا لا رابط بينه وبين سائر التقاليب.

وإذا نظرنا إلى هذه النظرية في ضوء مفهوم "التصنيف المقولي" و"المقولات الإشعاعية"، وجدنا أن ابن جني كان – من الناحية الإجرائية – يقترح أن الألفاظ المشتقة من أصل واحد تُشكّل مقولة معنوية واحدة، مركزها معنى عامّ، وتتوزّع فروعها توزُّع الأعضاء حول نموذج مركزي، لا توزُّع الوحدات المتساوية المستقلة. وهذا يقترب اقترابًا شديدًا مما تصفه اللسانيات المعرفية بـ"الإشعاع الدلالي" الذي تتفرّع فيه معاني اللفظ الواحد أو أصله الواحد عن نواة مركزية عبر علاقات من التشابه والتجاور والاستعارة[2]. وابن جني – في تسميته هذا الباب وتخصيصه فصلًا مستقلًّا له لم يسمّه أحد قبله – إنما كان يقوم بعمل تصنيفي دقيق: تحويل ظاهرة صرفية بحتة (تقليب الجذر) إلى أداة تصنيف دلالي للمعجم بأسره، وهذا هو جوهر المشروع المعرفي في اللسانيات الحديثة: أن يُقرأ النظام اللغوي بوصفه نظامًا تصنيفيًّا للتجربة، لا مجرد قائمة من الوحدات.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن جني كان حريصًا – مع جرأته النظرية – على ألا ينساق وراء هذا المنهج انسياقًا يفضي إلى التعسّف، فقد نبّه في غير موضع على ضرورة "التثبّت" في هذا الباب، وعدم الانسياق وراء "الشطط" في الاشتقاق[3]، وهو ما يعكس وعيًا منهجيًّا مبكرًا بحدود التعميم التصنيفي، وهو وعي يوازي – من بعيد – ما تنبّه إليه الدارسون المحدثون من ضرورة التمييز بين المقولات ذات الحدود الصارمة والمقولات ذات الحدود الرخوة القابلة للتدرّج.

ثانيًا: إمساس الألفاظ أشباه المعاني: وعي أيقونيّ مبكر

من أدلّ الأمثلة على وعي ابن جني بالعلاقة غير الاعتباطية بين الصوت والمعنى ما أورده في باب "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" من "الخصائص"، إذ يذكر أنّ "المِسْك" فِعْلٌ من "أمسك الشيء": في قوله: "وكذلك تجد أيضا معنى المسك، وذلك أنه (فعل) من أمسكت الشيء، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه، ولا يعدل بها صاحبه عنه. ومنه عندي قولهم المجلد: (المسك) هو فعل من هذا الموضع، ألا ترى أنه يمسك ما تحته من جسم الإنسان وغيره من الحيوان. ولا الجلد لم يتماسك ما في الجسم: من اللحم، والشحم والدم وبقية الأمشاج[4]". فابن جني هنا لا يكتفي بذكر الاشتقاق الصرفي المجرّد للفظ "مسك" من مادة "م س ك"، بل يفسّر هذا الاشتقاق تفسيرًا حسيًّا تجربيًّا: طيب رائحة المسك هو الذي

---

[1]– ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج2، مصدر سابق، ص133.

[2] Taylor, John R., Linguistic Categorization, Oxford University Press, Oxford, UK, 3rd edition, 2003, p. 45.

[3]– ينظر: محمد علي النجار، مقدمة التحقيق، في: ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص33.

[4]– ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، تحقيق محمد علي النجار، مصدر سابق، ص118.

يجعل صاحبه "يُمسك" به ولا يفارقه، فيكون الجرس اللفظي معبّرًا – في تصوّره – عن طبيعة التجربة الحسية ذاتها التي أوجبت التسمية.

وهذا النمط من التعليل هو عين ما تصفه اللسانيات المعرفية بـ"الأيقونية" و"التجسيد"؛ ذلك أن ابن جني يردّ الدلالة المعجمية إلى تجربة حسية جسدية (الإمساك، الشمّ)، لا إلى علاقة اعتباطية محضة بين الدال والمدلول كما تصف ذلك اللسانيات البنيوية الحديثة عمومًا. وهو ما يجعل من ابن جني – في هذا الباب بالذات – رائدًا لمنهج تفسيريّ يقارب ما يُعرف اليوم بـ"الدلالة القائمة على التجربة"، وإن اختلفت الأدوات والمصطلحات اختلافًا بيّنًا بين العصرين.

ولم يقف ابن جني عند هذا المثال وحده، بل عقد لهذا النمط من التعليل بابًا كاملًا يفيض فيه بأمثلة مشابهة، منها تعليله اشتقاق "الصُّوار" (القطعة من المسك) من "صار الشيء يصوره إذا عطفه وثناه"، وتعليله كلمة "الطُّفَيْلي" بميل صاحبها إلى الطعام دون أن يُدعى إليه[1]. وفي كل هذه الأمثلة يسعى ابن جني إلى الربط بين الحدث الحسي أو السلوكي والصيغة الصرفية التي اختارتها العربية للتعبير عنه، وهذا – في جوهره – سعيٌ نحو تفسير معرفي (لا صرفي محض) لمشكلة العلاقة بين اللفظ والمعنى.

ثالثًا: الإشارة أبلغ من العبارة: نحو سياقية معرفية

من المسائل اللافتة في "الخصائص" كذلك عناية ابن جني بوسائل الدلالة غير اللفظية، إذ يورد كلامًا طويلًا حول أن مقاصد المتكلمين قد تُدرَك بالإشارة أو بحال المتكلم أو بانقباض وجهه أو انبساطه، لا بالعبارة المنطوقة وحدها، ثم يعقّب قائلًا: "وعلى ذلك قالوا: "ربّ إشارة أبلغ من عبارة"[2]. وهذا الوعي بأن المعنى لا ينحصر في الصيغة اللفظية المجرّدة، بل يتوزّع بين اللفظ والسياق الحاليّ والإشاريّ المصاحب له، يوازي – من زاوية معرفية – ما تؤكده اللسانيات المعرفية من أن الفهم اللغوي عملية تكامل بين المعطى اللغوي والمعطى الإدراكي العام (الإطار الموسوعي والسياق الحاليّ)، لا فك شفرة لغوية معزولة عن هذا الإطار.

رابعًا: الحدس والذوق اللغوي: كفاءة قائمة على الاستعمال

يُلاحظ في مواضع كثيرة من "الخصائص" اعتماد ابن جني على حسّه اللغوي وذوقه الشخصي في الترجيح بين الآراء، لا الاكتفاء بالنقل والرواية المجردة، ومن ذلك مناقشاته المطوّلة لمسائل خالف فيها الجمهور معتمدًا على ما "استوى له دليله، واستقرّت عنده حجّته"[3]. وهذا الاعتماد على الذوق والحدس – إلى جانب القياس والرواية – يقترب مما تصفه اللسانيات المعرفية المعاصرة بـ"النموذج القائم على الاستعمال" الذي يرى أن معرفة المتكلم بلغته لا تُختزل في قواعد صورية مجردة سابقة على التجربة، بل تتكوّن تراكميًّا من غمار الاستعمال الفعلي وتُصقَل بالممارسة والذوق المكتسب، وهو عين ما مثّله ابن جني في منهجه حين جعل "الفصاحة" و"القبول الذوقي" معيارًا إجرائيًّا مكمّلًا للقياس النحوي الصِّرف.[4]

---

[1]– ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج2، مصدر سابق، ص119.

[2]– ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج1، مصدر سابق، ص247.

[3]– محمد علي النجار، مقدمة التحقيق، في: ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص26.

[4]– المرجع السابق، ص47.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- **ابن جني، أبو الفتح عثمان:** الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية عن دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1952.
- **ابن جني، أبو الفتح عثمان:** المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

ثانياً: المراجع العربية الحديثة:

1. الكتب والرسائل العلمية

- **الأفغاني، سعيد:** من تاريخ النحو، دار الفكر، بيروت، 1978.
- **الغزاوي، حيدر فاضل عباس:** اللسانيات المعرفية في الدراسات العربية الحديثة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العراق، 2018.
- **المرجان، كاظم بحر:** مقدمة تحقيق كتاب "الإيضاح" لأبي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
- **النجار، محمد علي:** مقدمة تحقيق كتاب الخصائص لابن جني، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1952.

2. الدوريات والمجلات العلمية:

- **تايلور، جون:** اللسانيات العرفنية واللسانيات المستقلة، ترجمة: محمد الملاح، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد 3، جامعة المسيلة، الجزائر، 2019.
- **عزيزي، راضية وبخوش، كمال:** الاستعارة بين البلاغة العربية واللسانيات المعرفية، مجلة المدونة، المجلد 8، العدد 2، جامعة البليدة 2، الجزائر، جوان 2021.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

يضعنا هذا المبحث بكل وضوح أمام حقيقة مذهلة تفكك الصورة النمطية عن علمائنا الأقدمين؛ فأبو الفتح عثمان بن جني لم يكن مجرد لغوي تقليدي يجمع شتات الكلمات أو يفتش في دفات الماضي ليضع قواعد صارمة، بل كان بحق "لسانيًا معرفيًا" استثنائيًا يسبق أحدث النظريات الغربية المعاصرة بألف عام. من خلال هندسته الذكية لـ "الاشتقاق الأكبر"، أثبت أن عقولنا لا تخزن اللغة كقائمة كلمات متناثرة، بل تنظمها في شبكات عائلية مرنة تتفرع عن نواة دلالية واحدة. والأجمل من ذلك، أنه بأطروحته حول "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" أعاد للغة روحها وإنسانيتها؛ فلم يرَ في الكلمات رموزًا صماء أو اعتباطية، بل جعلها مرآة حية لجسد الإنسان وحواسه، وتجلياً لكيفية تفاعلنا مع العالم من حولنا عبر الشم واللمس والحركة. لقد أدرك ابن جني مبكراً أن المعنى لا يسكن الحروف المنطوقة وحدها، بل يتنفس من رئة السياق، وتعبيرات الوجه، وغمار الاستعمال اليومي، ويُصقل بالحدس والذوق البشري الرفيع. إن هذا المبحث لا يكتفي بمدح التراث، بل يقدم قراءة نقدية معاصرة تُثبت أن العبقرية العربية القديمة قادرة اليوم على محاورة أحدث مدارس اللسانيات المعرفية بندّية تامة، لتؤكد لنا أن اللغة كانت وما زالت تجربة إنسانية حية، وليست مجرد معادلات رياضية جافة.

الخاتمة والنتائج

في ختام هذا البحث يتضح لنا جليًا أن أبا الفتح عثمان بن جني لم يكن مجرد نحوّي يدير فلكه حول الوصف الضيق لقواعد العربية، بل كان مفكرًا ولسانيًا معرفيًا مبكرًا امتلك رؤية نافذة تربط بين نظام اللغة ومكنونات العقل البشري. إن إعادة قراءة كتاب "الخصائص" بأدوات اللسانيات المعرفية لم تكن محاولة لإسقاط مصطلحات حديثة على نص قديم بشكل تعسفي، وإنما كانت كشفًا وتفكيكًا لتصورات معرفية أصيلة ومدهشة صاغها ابن جني بلغة عصره.

وبناءً على التحليل والاستقراء الذي قمنا به لنصوص الكتاب وسياقه المعرفي، خلص البحث إلى جملة من النتائج الحيوية:

أولًا: أثبتت الدراسة أن ابن جني بنى معرفته اللغوية الفريدة من خلال مزج تفاعلي متقن بين دقة النقل والرواية من جهة، وبين منزع الاجتهاد النظري القائم على الحدس والذوق الشخصي من جهة أخرى؛ وهو ما يمثّل العصب الحقيقي لأي بناء معرفي رصين.

ثانيًا: تبين أن نظرية "الاشتقاق الأكبر" عنده تتجاوز مجرد تقليب الجذور الصرفية لتشكل نموذجًا تصنيفيًا مبكرًا للمعجم العربي، وهو نموذج يلتقي بوضوح مع مفهوم "المقولات الإشعاعية" في اللسانيات المعرفية من خلال افتراض نواة دلالية مركزية تشعّ منها وتتفرع حولها سائر المعاني.

ثالثًا: كشفت الدراسة من خلال نظرية "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" عن وعي أيقوني متقدم وعميق يرفض فكرة الاعتباطية المحضة بين الصوت والمعنى، إذ يتقاطع هذا الطرح بصورة لافتة مع مبدأي "الأيقونية" و"التجسيد" عبر ربط الدلالات اللغوية بالتجارب الحسية والجسدية للإنسان.

- **Rosch, Eleanor,** "Principles of Categorization", in: *Cognition and Categorization*, Lawrence Erlbaum Associates, Hillsdale, USA, 1978.
- **Taylor, John R.,** *Linguistic Categorization*, Oxford University Press, Oxford, UK, 3rd edition, 2003.

رابعًا: أظهر البحث أن عناية ابن جني بالوسائل غير اللفظية كالإشارة وأحوال المتكلم في إيصال المقاصد تعكس وعيًا متقدمًا بتكامل المعطى اللغوي مع المعطى الإدراكي والسياقي العام لبناء الفهم، وهو ما يطابق أطروحات اللسانيات المعرفية المعاصرة.

خامسًا: اتضح أن اعتماد ابن جني المتكرر على الذوق اللغوي والحدس الفطري في تقييم الفصاحة والقبول يتقاطع مباشرة مع مفهوم "الكفاءة القائمة على الاستعمال"، حيث لا تُختزل اللغة في قواعد صماء بل تصقلها الممارسة الحية والتجربة التراكمية.

إن هذه النتائج مجتمعةً تؤكد أن التراث اللغوي العربي يمتلك عمقًا فلسفيًا قادرًا على محاورة النظريات اللسانية الحديثة بندّية تامة، شريطة أن يُقرأ بأدوات منهجية معاصرة تفكك أبعاده وتستنطق مضامينه.

هوامش البحث